

وانما ليخرج ويصد عن الوعي ويحول دون التوحيد ويعوق حضارة » . (ص ١٥٨) .

— ان القضية الجوهرية بالنسبة الى الامة العربية جمعاء هي ان تكون من القوة بحيث تنصدي لما يهددها جمعاء . « ومن هذا القبيل فكل دولة على حدة عاجزة ايا كانت نظمها . فالغاية القصوى انما هي الوحدة بأي شكل . ولا بد من تسمية الاشياء باسمائها وتوجيه الجهود لتذليل العقبات التي تعترض الوحدة » .

وهنا يعترف المؤلف بمركزية النضال الفلسطيني ويعتبره بوتقة لا مثيل لها في بورة عملية الوحدة العربية وترجمتها الى واقع محسوس . ثم يتعرض لمفهوم الدولة العلمانية الديمقراطية (قيل هذا الكلام قبل حرب اكتوبر) فيناقش كل عبارة بهجردها . « فلا العلمانية ولا الديمقراطية التي ينادون بها (الفلسطينيون) منسوخة منقولة » فالثورة الفلسطينية علمانية « لا انتسابا ولكن بطبيعة الحال » فهي لا تستطيع « فهم الدولة الا من زاوية المواطنة او القومية أي من زاوية ما هو مشترك بربط الفرد بالجموع » .

ونفس القياس ، يمكن استعماله في مناقشة الإرادة الديمقراطية . ولكن السؤال الذي قد يتبادر الى ذهن بعض « الواقعيين » هو قولهم ان الاقتراح الفلسطيني بشأن العلمانية او الديمقراطية فيه من الثورية ما يجعل المرء يرتاب في صدقه وانه حيلة يقصد منها كسب المؤيدين . الا ان كل هذه الاعتراضات لا تستند على واقع ملموس فمعنى هذا الاقتراح من الناحية العربية هو وعي وتحرر . وهو يشكل من الناحية اليهودية دعوة الى الوعي والتحرر . فيوم عزم الفلسطينيون على الشهادة « عرفوا من هم وما هو العالم المعاصر وما عليهم ان يعملوا فيه » .

ان رؤيتهم وعزمهم وتجربتهم تبني عالما خاصا بهم وتكشف لعالمنا واقعا جديدا وتفتح أعين الذين بقيت لديهم طاقة على الرؤية . (ص ١٨٢) .

والنتيجة الاخيرة التي يصل اليها الاب ملوم سركيس في ختام بحثه الفلسفي — السياسي تمتاز بالبساطة التي تتكمن في طياتها أكثر المعاني وأخطرها وأجلها . انه يرى ان القضية الفلسطينية هي علامة هذا الزمان . « وكل صفحة من التاريخ

ما ينيف عن اربع وخمسين سنة . . . » من كل هذا يصل المؤلف الى عدة استنتاجات منطقية مؤداها : — ان العربي (وبعد كل ما حصل) لا يعتبر ان اليهودية تطرح سؤالاً او تشكل معضلة . والجيتو في نواحيه المسجة ليس شرقيا او عربيا بل هو وليد الغرب وحضارته وتاريخه .

— ان تحالف المسيحية الغربية واليهودية الصهيونية ضد الاسلام العربي له دلالة خطيرة جدا ، « نعم لا يغفرون للاسلام العربي ان يكون شيد امبراطورية من أعجب وأخصب ما عرف التاريخ . ولا يغفرون له ان يكون بعث من رماده وغرض ذاته فيما طمست قيم المسيحية الروحية بجشع ارباب الاموال منهم » . (ص ١٥٢) .

— ان محاولة صبغ الظاهرة الصهيونية بالوان القومية لا اضعاف فيها . فالقومية واقع جماعة تعيش تقليدا على أرض نشأت فيها ولكن حقوقها اغفلت في وسط جماعة أوسع تضم أجناسا مختلفة ، فهي تدرك دعوتها ، امني ميزاتنا وشخصيتها تدريجا ثم تعمل على ان تعترف بها الدول فيكون حكمها من الداخل . وذلك يفرض تلازم أركان كثيرة منها الإقامة التقليدية في ارض وجلة ثروات . (في عدد السكان والاقتصاد والثقافة) تتيح للجماعة ان تستقر وتدوم . ويعني ذلك بالاجاز مستقرا مشتركا وثروات مشتركة وروحا واحدة . (ص ١٥٢) . أما الواقع الصهيوني من خلال تطوره التاريخي والحالي فيفتقد الى كثير من هذه العناصر الأساسية . « الاسرائيليون الذين يجهرن اليوم في اظهار تضيقهم بمظهر التضاي المألوفة انما يتصرفون تصرف المعتدين ويلفتون الانتباه الى تناقضاتهم فيسلحون أعداءهم بأسلحة ما كانوا ليظنوا اليها » .

— ان عبقرية الصهاينة لم تتم منذ ثمانين سنة الا على اغتنام الفرص لحمل الدول الاستعمارية على الرضى الاثيم او المساهمة المفرضة . بيد ان المظالم المتلاحقة لا تنتهي بأن تكون حقا ، والمساهمة المفرضة لا تنتهي الا بالارتهان . ولا تكون الانتهازية سياسة وانما تقضي على سياسة . وليس اسرائيل حتى اليوم سوى حجر في لعبة الدول . فلا يقوم الا بارادة الذين يستفيدون من وجوده وضد ارادة الذين لا يبقى بدون رضاهم . اذن فوجوده شرطي مؤقت . « ولم يوجد ليبنى